

محاولات جوليان لإعادة بناء المعبد

٣٦١ - ٣٦٣ م

بين الحقيقة والخيال

د. أسامة حسيب

أستاذ مساعد - قسم التاريخ

كلية الآداب - جامعة سوهاج

لم يكن للإمبراطور قنسطنطيوس الثاني *Constantius II* (٣٣٧ - ٣٦١م) أولاد يرثون الحكم من بعده، وحتى يبقى كرسى الحكم في عائلته فقد جعل ابن عمه جالوس *Gallus* قيصرًا، ولكنه أعدمه عام ٣٥٤م لشكته، في سعيه للسلطة الإمبراطورية، وتولى ابن عمه الثاني جوليان شقيق جالوس قيصرًا عام ٣٥٥م، وزوجه هيلينا أخته، وعهد إليه بحكم غالة في نفس العام، وعندما توفى الإمبراطور قنسطنطيوس عام ٣٦١م، وهو في طريقه لقتال جوليان، وتولى الأخير العرش الإمبراطوري^(١).

ويطلق على الإمبراطور جوليان لقب المرتد *Julian the Apostate* أو الجاحد من قبل أعدائه؛ لأنه تحول عن ديانته مثل الإمبراطور قنسطنطين الأول (٣٠٦ - ٣٣٧ م) ولكن في الاتجاه المضاد، إذ أنه ترك المسيحية وعاد إلى اعتناق الوثنية^(٢)، وتأثر بأفكار الفيلسوف ليبانوس *Libanius* الذي نادى بأفضلية الوثنية^(٣).

وبوصول جوليان إلى العرش الإمبراطوري بدأ في تحقيق حلمه الذي راوده سنينًا طويلة، ألا وهو القضاء على المسيحية واستئصال شأفتها من الأراضي الرومانية، وإرجاع نفوذ الوثنية الرومانية مرة أخرى^(٤)، ولكي يحقق هذه الغاية أعلن نفسه رئيسًا للكهننة، وأمر بإصلاح المعابد الوثنية وفتحها وتردد عليها، ورد ما صودر من أملاكها وإعادة ما كان لها من موارد؛ وراحت الجموع الوثنية تعبر عن مشاعرها الحبيسة طيلة خمسين عاماً مضطربة بالحد والكراهة الدفين للمسيحية واتباعها^(٥)، ولكن صحوة الوثنية هذه كانت مؤقتة، ولم يقدر لها الاستمرار؛ لأن جوليان حاول أن يضع عقارب الساعة إلى الوراء حيث الوثنية بعبادتها المتعددة واضطهادها للمسيحية^(٦).

وعلي كل، ما إن ارتقى جوليان العرش الإمبراطوري حتى أمر بإعادة فتح سائر المعابد الوثنية في أرجاء الشرق وإصلاح تلك التي أهملت، وبدأ يعيد بناء

المعابد الرومانية القديمة التي خربت ويعيد إليها بهاءها، واسترد المذابح وخصص مبلغا ماليا لذلك، وكانت غالبية هذه المعابد قد تردت في هاوية الاضمحلال، وسرعان ما أخذ يضطهد رجال الكنيسة المسيحية، ويظهر لهم صراحة مقته رافضا تشريفهم بحضرته. وأصدر عدد من المراسيم المدمرة للمسيحية اقتصاديا ولاهوتيا، ثم منعهم في نهاية الأمر من الاشتغال بالتعليم. ولكن الشعوب غير المسيحية في الإمبراطورية كانت أكثر اهتماما بمختلف الديانات الغامضة الحافلة بالأسرار، ومنها وثنية جوليان الذي كان يطيل في دفاعه عن الوثنية^(٧). ولهذا كان إذ سمع أن معابد مشهورة قد دمرت، وأن كهنة وثنيين قد حكم عليهم بالإعدام، وأن أملاكهم قد وزعت أجهش بالبكاء.

لقد ثار جوليان ضد أمه المسيحيين وتغول عليهم وجعلهم شركاء في الذنب بدسائسهم المعروفة جيدا، وعدم سلامة نيتهم؛ حيث كانوا يكونون كراهية شديدة لنا (الوثنيين)، وبعيدا عن كبتهم والأسرار الغامضة فقد حان الوقت ليعودوا (اليهود) إلى أراضيهم، أو لأن يعيدوا بناء المعبد، وليسترجعوا الحكم لأنظمتهم الوراثية، وخص بذلك جوليان أغراضه الحقيقة تحت علامة فعل الخير^(٨). وهذا يعني أن جوليان كان ينشد من إعادة بناء المعبد، تقديم الأضاحي فيه من قبل اليهود، لكن هل كان اليهود سيتقبلون بذلك؟.

لقد أصدر الإمبراطور مرسوما في ٢٢ أكتوبر ٣٦٢م لإعادة معبد أبوللو *Apollo*^(٩) بضاحية دافني *Daphne*^(١٠)، وأعطى في نفس الوقت توجهاته على وجه السرعة للقيام بإعادة البناء في أورشليم^(١١).

كانت أورشليم (بيت المقدس) قائمة وسط أرض صخرية جرداء، وكانت أسوارها تضم بينها جبلي صهيون وأكرا، داخل رقعة بيضوية الشكل مساحتها ثلاثة أميال، وكان يقوم عليه هيكل مهيب ضخم هو هيكل الأمة اليهودية، وبعد أن دمر تيطوس *Titus* وهادريان *Hadrian* (١١٧-١٣٨م) ذلك المعبد تدميرا نهائيا، تم

رسم علي الأرض المقدسة شكل يمثل سن المحراث علامة علي أن المكان أصبح محرماً تحريماً دائماً، وكانت الآثار المسيحية تدنس تلك الأماكن المقدسة، كما كرس معبد من المعابد للآلهة فينوس Phones في المكان المقدس الذي حدث فيه موت المسيح وبعثه، ولسنا نعلم إذ كان ذلك شيئاً مقصوداً أو أنه حدث بالمصادفة. وبعد ثلاثمائة عام تقريباً من تلك الأحداث العجيبة هدم معبد فينوس الدنس، وأزيلت الأحجار وأبصر الناس ضريح المسيح المقدس^(١٢).

وفي صيف ٣٦٢م قام جوليان بزيارة للمقاطعات الشرقية للإمبراطورية الرومانية، وذهب إلى معبد أبوللو في قرية دافنى^(١٣)، وهذا المعبد بناه السلوقيون على بعد خمسة أميال من أنطاكية^(١٤) - لتقديم الأضحيان لأبوللو، ولم يجد داخل المعبد سوى كاهن واحد، ولم يجد من الأضحيان سوى أوزه واحدة اشتراها الكاهن بدرهم معدودات من أمواله الخاصة. أما المذبح فقد بات مهجوراً، في حين أن المسيحيين قد دنسوا فناء المعبد برفات القديس بابيلاس *Babylus* أسقف أنطاكية، وأقاموا كنيسة فوق رفاته^(١٥).

ويذكر المؤرخ الروماني زوسيموس^(١٦)، أن الأنطاكيين استقبلوا جوليان عندما كان على مقربة من مدينتهم استقبلاً عظيماً، لدرجة أن الرجل انتابته حالة من الذهول بسبب كثرة مستقبلية. ولم يكن حبا فيه بل خوفاً منه^(١٧)، فعشية ذهب الإمبراطور جوليان إلى الحديقة (دافنى) التي كانت قد تم تخريبها في غضون ذلك، أعطى أوامره بإعادة معبد أبوللو إلى سابق عهده^(١٨).

وأثناء وجوده في أنطاكية ٣٦٢م، أرسل رسالة إلي الحكام داخل الإمبراطورية حظر فيها فرض ضرائب علي جماعة اليهود، قائلاً: "لم يعد هناك أي شخص لديه القدرة علي قمع شعبي خلال فترة حكمي". وإن كان الدافع الرئيسي هو التمهيد لكسب تأييد وصدقة اليهود واليهودية^(١٩). للوقوف معه في حربه القادمة ضد المسيحية.

وفي نفس الوقت الذي واصل جوليان فيه بناء معبد أبوللو، ازداد في اضطهاد المسيحية، فأصدر عدة قرارات من أجل إعادة إحياء الوثنية، فأمر بإعادة فتح المعابد الوثنية، وتقديم القرابين للآلهة الوثنية من الذبائح ودعي تابعيه علي تبني العبادة، وعزل المسيحيين عن المناصب العسكرية، وحجم نفوذهم ، حتى لا يمثلوا أخطاراً في مواجهته، وكذلك اتجه إلى إزالة الصلبان وصور السيد المسيح والسيدة العذراء (عليهما السلام) رموز المسيحية من الأماكن العامة والدينية والبيارق العسكرية، وجعل بدلاً منها الرموز الوثنية^(٢٠). وفي نفس الوقت هدد الإمبراطور أنه ما لم يُعاد بناء المعبد بسرعة، فلن يكبح سخطه وغضبه بل سيصبه علي الجليليين (المسيحيين).

هناك من اختلف مع هذا الرأي من المؤرخين، وقرر أن الإمبراطور لم يمارس أى نوع من الاضطهاد خلال الاستعداد لبناء المعبد، والتي مارسها من قبل الأباطرة الوثنيين ضد المسيحيين، وإنما اتبع نمطاً فكرياً اتفق مع تكوينه الفلسفي في مواجهة المسيحية حتى أن القديس جيروم لقبه (بالاضطهاد النبيل)^(٢١). حيث عاملهم أولاً بإنسانية عما ظهر من مضطهديهم السابقين، ولكن لماذا؟؛ لأنه اكتشف أن الوثنية لم تكسب أي شيء من تعذيبهم بينما تزايدت المسيحية، وصارت أكثر تكريماً بموت أولئك الذين ماتوا دفاعاً عن الايمان، ولهذا بدلاً من استخدام النار ضدهم وتشويه أبدانهم، ورميم في البحار، أو دفنهم أحياء لإجبارهم علي تغيير مفاهيمهم لجأ إلي الحجة والأقناع، وظن أنه بهذه الوسيلة يردهم إلي الوثنية بدون اضطهاد، حتي وصل به الأمر إلي الاجتماع بقساوستهم في قصره .

والباحث من جانبه يرفض فكرة الاضطهاد النبيل، ولا يستبعد العداء الشديد من المؤرخين الكنسيين، واللذين لم يعملوا علي إنصافه، وكالوا له الاتهامات علي نحو مضاعف ضاعت معه الحقيقة، ولم يذكروا توفيره للأمن والأمان والرفاهية، ففي عهده ازدهرت الصناعة والتجارة والقوانين، وتجلت الرخاء ورغد العيش في الأقاليم.

المهم هو أن جوليان أمر كذلك بإعادة بناء معبد سليمان *Solomon Temple* اليهودي في القدس، الذي دمرته الجيوش الرومانية في عام ٧٠م. وكان إعادة بناء المعبد اليهودي جزءًا مهمًا من الإصلاح الشامل للوثنية، ومن الأفضل فهم تصرفات جوليان المعادية للمسيحية علي أنها جوانب من الإصلاح^(٢٢).

وتتعارض خطة جوليان لاستعادة الهيكل مع مبدأ مسيحي مركزي بأن تدميره أثبت الادعاء المسيحي بأنهم (اليهود) ليسوا شعب الله المختار، حيث بدأ الشك في وضع يسوع باعتباره نبيًا حقيقيًا، حيث تنبأ عندما خرج من الهيكل أنه "لن يتم ترك حجر هنا علي الآخر قريبًا سيتم إلقاء كل شيء"^(٢٣).

وعلي كل، عندما أخذ جوليان علي عاتقه أمر بناء المعبد تكفل بالمصاريف لإعادة البناء، ولإتمام مشروع البناء، وجمع اليهود من كل مكان، قدم جوليان الأموال اللازمة لذلك من الخزانة العامة للإمبراطورية البيزنطية، كما قدم التجهيزات، وأصدر أمرا بإعادة بناء المعبد في نهاية عام ٣٦٢م^(٢٤).

وبمناسبة ترخيصه لليهود بإعادة بناء معبدهم، يقول المؤرخ الكنسي ثيودريت^(٢٥)، الذي يتضح من لغته أنه يكن كراهية لا حدود لها للإمبراطور جوليان "أعتقد أن الإمبراطور جوليان كان يسعى بوسيلة الترخيص لليهود بإعادة بناء معبدهم، إلي أنه بغروره، يمكنه أن يزيّف ويكذب نبوءة إلهنا، التي كانت حقيقة وكان يعرفها".

وفي رسالة وجهها جوليان إلي أمة اليهود المشتتة في ولايات الإمبراطورية. نراه يرثي لمحنتهم ويدين ظالمهم، ويمتدح ثباتهم، ويعلق أنه حاميمهم القوي^(٢٦). وهو بذلك يسعى لاستقطاب اليهود إلي جانب إصلاحاته للوثنية.

لقد استمع اليهود لكلمات الإمبراطور جوليان لهم بإعادة بناء معبدهم بفرح، وعرفوا أوامره ونقلوها إلي مواطنهم في جميع أنحاء العالم^(٢٧). وعندئذ جاء اليهود

إلى أورشليم على وجه السرعة من جميع الجهات، مساهمين بالأموال والأعمال والمؤن لإعادة بناء معبدهم^(٢٨).

المحاولة الأولى، لإعادة بناء المعبد، صاغ فيها الإمبراطور جوليان خطة إعادة بناء المعبد، وبأعداد كثيرة، وبغيره لا حدود لها، وانطلق اليهود لممارسة العمل بأقصى حماسة، ففتشوا عن أمهر الحرفيين للبناء، وشارك في العمل كل الشخصيات المدنية والدينية، وبدأوا بكل همة ونشاط في المهمة، ولقد ساهمت حتي النساء بعقود أعناقهن وأدوات الزينة للمساهمة في النفقات، وحملن التراب في أثوابهن الغالية والتصقت بها الأوساخ، لأنهن اعتقدن أنهن كن يعملن عملاً دينياً^(٢٩).

ومن جانبه أصدر الإمبراطور أوامره بالاستعداد بالتجهيزات الخاصة ببناء المعبد من المؤن، مثل إحضار الأخشاب، والأحجار، والمحروقات، والطين، وحتى توفير الأجور، وجميع المواد الأخرى اللازمة لأجل إعادة البناء دون معوقات^(٣٠).

مدفعون باعتبار واحد، أن وقت إعادة بناء المعبد قد حل. أقدم اليهود على عملية إعادة بناء معبدهم بدون التأمل أنه وفقاً لنبوذة النبي المقدس (سليمان)، لن يكون من المستطاع القيام به (أي إعادة بناء المعبد)^(٣١).

ولأجل إعادة بناء المعبد، بدؤوا بالعمل وأصلحوا الأرض، وهكذا دخلوا بشوق على أعمال البناء من كل حد وصوب، وللوفاء بنفقات البناء، وفر الإمبراطور جوليان ووثنيين آخرين وجميع اليهود، جميع التدابير الأخرى الخاصة بإعادة البناء^(٣٢).

وهنا لابد من وقفه لاستجلاء الموقف الوثني، فمع أن اليهود لم يكونوا ميالين تماماً تجاه الوثنيين، لماذا؟ بسبب اختلاف المعتقدات الدينية، ومع ذلك أقدم الوثنيون على مساعدتهم في إعادة بناء معبدهم، لماذا؟ لأنهم اعتقدوا أن هذا المشروع سوف يتم بنجاح؛ لأنه يقف خلفه الإمبراطور والطبقة الأرستقراطية الوثنية من ناحية، ومن ناحية أخرى فقد راودهم الأمل بأنه بتلك الوسائل سوف يكذبون نبوءات السيد المسيح

(عليه السلام) (٣٣)، ومع كل ذلك فإن اليهود لم يكونوا ودودين مع الوثنيين، إلا أنهم ساعدوهم في هذا المشروع، لأنهم رأوا في نجاحه نجاحاً لهم وتكديباً لرؤي المسيح.

ولقد عارض فكرة إعادة بناء المعبد رجال الدين والكتّاب المسيحيين، وبهذه المناسبة (إعادة المعبد) فإن كيرلس *Cyril* بطريك بيت المقدس، راح يذكر بنبوءة النبي دانيال *Daniel*، والتي وردت في الأناجيل المقدسة، وتتأبأ بها، وأنذر في حضور عدد من الأشخاص أن الزمن في الواقع قد حل، وأكد فيه علي هدم المعبد كما ورد في الأناجيل، وأن نبوءة المنقذ هذه سوف يتم تنفيذها بالكامل، وهكذا كانت كلمات بطريك بيت المقدس (٣٤).

والسؤال الآن، لماذا أعطى الإمبراطور جوليان أوامره بالبناء؟؛ ذلك لكي يمارسوا (اليهود) طقس مماثل لهذا الطقس الذي كان يمارسه أجدادهم، وذلك عن طريق ذبح الأضاحي على نفس المنوال القديم (٣٥). وبخصوص نحر الذبائح يقول المؤرخ جيبون "في كل صباح كان جوليان ينحر ذبيحة تحية للشمس ربة النور، وفي اللحظة التي تغرب الشمس وراء الأفق، كان ينحر ذبيحة أخرى، كما قدم ذبيحة للقمر والنجوم وأرواح الليل". وكان كل منها يلقي التكريم اللائق من جانب الإمبراطور الذي يعتريه تعب من تعبه لتلك الآلهة (٣٦) ."

كما يذكر سقراط (٣٧) في ذلك، أن الإمبراطور جوليان الذي كان مولعاً بذبح الأضاحي داخل المعبد، فإنه لم يكن فقط مكتفياً ومسروراً بدم الأضاحي، ولكنه سعى إليها وتأملها ووجد أنه من غير الكرامة له، ما لم يكن هناك من يقوم بعملية ذبح الأضاحي، ولأنه وجد فقط أن عدة أشخاص هم الذين سيتقدمون بذلك، فقد أرسل إلى اليهود وسألهم حول ماهية عدم قيامهم بتقديم الأضاحي. لأن قانون موسى الذي فرضها، اشترط في ردهم بأن لم يكن مرخص لهم بأن يضحوا في أي مكان آخر غير بيت المقدس.

وكان جوليان يقوم بالتضحية بالحيوان في معبد سليمان ببيت المقدس بنفسه، فقد كان مشهورا بحبه للتضحية بالحيوان، ففي رسالة صديق كتب "أنا أضحى بالثيران في الأماكن العامة وداخل المعبد، لقد عرضت علي الآلهة كهدية شكر". وكان تقدير جوليان العالي للتضحية بالحيوان مستندا إلي نظرية الوثنية، التي اعتبرت أن دخان الحيوانات المحترقة وسيلة لحمل الصلوات نحو السماء^(٣٨). وكان جوليان ينحر مائة ثور قربانا للآلهة في يوم واحد، وكانت أندر الطيور وأجملها تنقل من أجوائها البعيدة لتذبح علي هياكل الآلهة .

ويذكر سوزمين^(٣٩)، أن جوليان روى المذبح بمئات من الأضاحي والآلاف من الطيور، وكان يقوم بممارسة الذبح بنفسه وما يتبعه من طقوس، ولا سيما الطيور البيضاء، لأن لونها فأل يبشر بالخير. وأصر جوليان علي تضحية اليهود بالحيوانات في معبد القدس، ولهذا تمسك بقوة، بإعادة بناء المعبد، كي يضمن أن يستأنف اليهود ممارستهم في تقديم الأضاحي^(٤٠).

وأما اليهود فمن جانبهم كانت لديهم رغبة منذ أمد بعيد للحصول على الفرصة المناسبة لإعادة تشييد معبدهم من جديد، حتي يمكنهم ذلك من تقديم الأضاحي هناك، ولهذا استخدموا قوتهم ومواردهم بقوة لهذا العمل، ولقد تصرفوا بوقاحة تجاه المسيحيين، وهددوا أن يفعلوا بهم نفس هذا الضرر، الذي هم أنفسهم عانوه من الرومان^(٤١).

وفي غضون ذلك، أصدر الإمبراطور جوليان أوامره بإعادة بناء معبد سليمان، وتابع السعي لإعادة الوثنية. حيث أنه في إحدى زيارته المتكررة إلى دافني لزيارة الإله أبولو، وجد أن بقايا أحد القديسين ما زلت تدنس المعبد(معبد دافني)، لذلك قرر أن تنقل تلك البقايا إلى خارج معبد دافني وإزالتها فوراً، مما أغضب جموع المسيحيين، ولكن جوليان أخلى المكان نهائيا ليكون للوثنيين ومعبدهم^(٤٢).

وهذا ما أكده زوناراس^(٤٣)، من أن الإمبراطور عند وصوله إلى أنطاكية لزيارة تمثال أبوللو ولم يعجبه المكان بسبب ما به من المخلفات (الدينية المسيحية) لذلك أمرهم بإزالتها، وعندما امتثل المسيحيين لأوامره، ضربت صاعقة معبد دافنى ليلاً وحولت (معبد دافنى) وتمثال أبوللو إلى كومة من الحطام، ولذلك صب عليهم الإمبراطور جوليان غضبه اعتقاداً منه بأنهم من تأمر على المعبد وتمثال أبوللو بحرقه.

لقد تم إحراق معبد دافنى كاملاً أثناء الليل (بواسطة نار) من السماء أو عن طريق قوة إلهية حرقت أيقونة أبوللو تماماً، حتى لم يتبق لها أثر، كما تم إبادة المعبد كلية لدرجة أن الناس الذين شاهدوا حطامه، فيما بعد تعجبوا من هذه المعجزة الإلهية^(٤٤). والباحث من جانبه لا يستبعد أن يكون المسيحيين هم من أشعل النار في هذا المعبد .

ولقد قابل جوليان ذلك بإجراءات قمع شديدة ضد المسيحية، بغية جذب الناس إلى ديانته منها، إبطال المراسيم التي سنت لمنع تقديم القرابين، والأمر بإعادة فتح المعابد الوثنية، وإرجاع الأراضي والممتلكات التي استولت عليها الدولة لتلك المعابد، وأن المعابد التي بنوا على أنقاضها بيوتاً لهم، فقد أمر بإزالتها، وبإعادة بنائها على نفقة أولئك الذين انتزعوا أحجارها، الأمر الذي ألقى على كواهلهم عبئاً جسيماً، كذلك أصدر تعليماته بهدم الكنائس المسيحية، وانتزع من اتباعها الوظائف والألقاب التي تمتعت بها الكنيسة، ووهبها لكهنة معابده الوثنية^(٤٥).

إن جوليان، الذي أندش من احتراق معبد دافنى وأيقونة أبوللو، شك في أن هذه النار نتجت عن مؤامرة بواسطة المسيحيين، لهذا بدأ في استقصاء الكهنة الذين يعيشون هناك، حيث أخضعهم لجميع ألوان العذاب لدرجة أن بعضهم مات، إن الشيء الوحيد، فقط، الذي عرفه منهم أن هذا العمل (شبوب النار في معبد دافنى) لم يكن من قبل المسيحيين، ولا أي مؤامرة من قبل الجنس البشري، ولكن تلك النار

التي حرقت معبد دافنى وظروفها هبطت من السماء، في تلك الليلة، ولقد شاهدها بعض الناس في المناطق المجاورة^(٤٦). وتحول المعبد إلى حطام بسبب النار التي شبت فيه فجأة.

وعودة إلي دور اليهود في إعادة بناء معبدهم يقول سوزومين^(٤٧) إنه عندما أزال اليهود حطام بناء معبدهم السابق، وحفروا الأساسات وأظهروا أساسه الأساسي، يقال (وهذا يعنى أن سوزومين غير متأكد) أنه في اليوم التالى، وعندما كانوا على وشك وضع الأساس الأول، حدث زلزال^(٤٨) قوى، وعن طريق الهز العنيف للأرض، أقتلعت الأحجار من أساساتها حتي أن اليهود الذين كانوا يعملون قد جرحوا. وانهارت فجأة المنازل والأروقة القريبة من الموقع، والتي كانوا قد انتقلوا إليها، وهلك كثيرون فيها في الحال، ووجد بعضهم بين حي وميت، ومبتورين الأيدي والأقدام، وآخرين جرحوا في أبدانهم، والبعض مات في الحال. ومن خلال ما تقدم يمكن القول إنه وفقا لرواية سوزومين^(٤٩)، اشتد غضب السماء علي اليهود، بسبب إعادة بناء المعبد، ونسي سوزومين أن الزلازل عامل طبيعي قد يحدث في أي وقت، ولا علاقه له بنوعية البشر.

وكان مقدرًا لجوليان أن يقوم بزيارة أخرى للمعبد أثناء البناء للشد من أزر العمال^(٥٠). وخاصة إن جوليان كان شبه مقيم في أنطاكية للاستعداد للحملة الفارسية، فكانت المدينة محطة مهمة لشرء المؤمن وتدريب القوات، فتردد علي عملية بناء المعبد^(٥١).

المحاولة الثانية، بعد فشل المحاولة الأولى، حث الإمبراطور جوليان اليهود مرة أخرى، علي سرعه الانتهاء من بناء معبدهم في بيت المقدس^(٥٢)، ولقد أوكل جوليان عملية إعادة بناء معبد سليمان إلى صديقه الجنرال أليبيوس *Alipius*^(٥٣). الأنطاكي للأشراف علي البناء. ووافق اليهود بالأجماع على اختيار أليبيوس القائد اليهودى المشهور، والمعروف بكراهيته للمسيحيين، وبدأ بنشاط لسرعة الانتهاء من

المشروع، ومارس أوليبيوس العمل في إعادة بناء المعبد بكل قوة، وساعده رجال الإمبراطور وحكام الأقاليم والولايات، وفجأة أثناء الحفر ظهرت كرات من اللهب انفجرت لأعلى قرب أساسات المعبد، وجعلت المكان صعب المنال إلى العمال الذين بعضهم تم حرقه وبعضهم مات . والصناع الموجودين هناك، لما شاهدوا أولئك لم يتجاسروا علي الاقتراب من المكان^(٥٤).

ولكن أمام هذا التحدي الإلهي لإعادة بناء المعبد شجع جوليان اليهود بكل الموارد المتاحة له داخل حدود الإمبراطورية^(٥٥)، لإتمام المشروع وجمع شتاتهم من كل مكان، كما قدم لهم كل الدعم المادي والمعنوي لإعادة المعبد^(٥٦).

وأظهر جوليان الإحسان تجاههم لماذا؟؛ لأن الإمبراطور كره ظلم المسيحيين لهم^(٥٧)، فأظهر الاحسان والإنسانية تجاه اليهود، وذلك عندما كتب إلى بطارقه اليهود وقادتهم، وبالمثل إلى الشعب اليهودي طالبًا منهم أن يصلوا من أجله ومن أجل إتمام بناء المعبد ونجاح الإمبراطورية^(٥٨).

ولقد ذهل المسيحيون من إصرار جوليان علي إعادة بناء المعبد، ولكن لماذا يريد إمبراطور وثني معارض للمسيحية وله مشاعر متناقضة حول اليهود إعادة بناء معبد يهودي؟ يجادل بعض المؤرخين أن مشروع معبد جوليان تم تنفيذه بدافع من التقارب الحقيقي للطقوس اليهودية، وبالتالي فإن جوليان يعتبر مشاعره تجاه اليهود مختلطة، فكان يميل باحترام وتقدير كبير للتقاليد الدينية اليهودية، ولكنه لم يهتم بمعاصريه اليهود الفعليين^(٥٩).

والحقيقة، أن الإمبراطور جوليان لم يكن يهتم باليهود واليهودية، لماذا؟؛ لأنه يعلم تمامًا أن الديانة المسيحية الأساس، وأن كلتا الديانتين (المسيحية واليهودية) قامتتا على سلطة البطارقة والأنبياء أولاً. ولكنه اعتقد أنه سوف يكدر صفو المسيحية عن طريق إظهار نوع من الاحترام لليهودية، وأيضاً سعى لاستماله اليهود لاعتناق الوثنية، وتقديم الأضاحي، لأنهم كانوا فقط عارفين بحروف الانجيل، ولم يتمكنوا

مثل المسيحيين وقليل من الأحرار العقلاء بينهم، من إدراك معانيها الحقيقية، ولقد أثبتت تلك الحوادث التي أكدت ما سبق وباعته الحقيقي^(٦٠)، ولكن كيف؟ إن الإمبراطور جوليان الذي جعل روحه ملكاً تمتلكها الشياطين، تهادى في غيه لأقصى درجة، وذلك بحدته الشديدة ضد الدين الصحيح دين الأكثرية^(٦١).

لقد سعى جوليان كما يذكر البعض، لتسليح اليهود ضد المؤمنين بالمسيح؛ حيث بدأ يستعلم عن بعض الأمور الخاصة ببناء المعبد، الذي يمكن أن يحصل عليه بسؤاله، لماذا؟ مع أن قانونهم (اليهودى) فرض عليهم واجب تقديم الأضاحي، ولم يقوموا بذلك^(٦٢). وهكذا نرى أن الإمبراطور جوليان، ربما عندما تعذر بناء المعبد، وفقا لروايات المؤرخين، بسبب قوي الطبيعة، سعى لجذب اليهود لتقديم الأضاحي خارج نطاق معبدهم، ولكن ردود اليهود علي ذلك جاءت مخيبة لآمال جوليان؛ حيث أنهم لا يمكنهم تقديم الأضاحي خارج نطاق المعبد، ولقد ثبت ما ذهب إليه الباحث من خلال الحوار بين جوليان وأحرار اليهود.

تقول الرواية التاريخية إن جوليان أرسل رسالة لبعض من قادة وزعماء اليهود وحثهم على العودة إلى مراعاة قانون موسى *Moses* (عليه السلام) وعادات آبائهم^(٦٣). ففي العهد القديم يقر التضحية الحيوانية ويتطلبها كما تقرها الوثنية، "وفي سعي أن أنقل إليكم من أسفار موسى عشرات الآلاف الفقرات التي تؤكد أن الشريعة نزلت ليعمل بها في كل الأزمان".

ولكن في رد زعماء اليهود على الإمبراطور جوليان، أوضحوا له أنه بسبب هدم هيكلهم في بيت المقدس، فإنه لا من الناحية القانونية ولا من ناحية الموروث عن طريق أجدادهم، يمكن أن يقوموا بهذا في مكان آخر من الحاضرة (أورشليم) التي يوجد بها معبدهم^(٦٤). وذلك في رد اليهود على سؤال الإمبراطور جوليان، حول عدم تقديمهم الأضاحي، أشاروا بأن عبادتهم تكون محددة بمكان واحد بصفة خاصة في بيت المقدس^(٦٥).

وعن جهود جوليان وإصراره لمساعدة اليهود في بناء المعبد فقد واصل الأعمال الآتية:

أولاً: وفر الإمبراطور جميع المؤن والاحتياجات اللازمة لإعادة بناء المعبد قدر المستطاع، مرة أخرى.

ثانياً: أرسل حاكم قوي لتنفيذ أوامره الكافرة .

ثالثاً: وفر المال من الإمبراطورية ومن خارجها من الوثنيين واليهود^(٦٦).

أما **المحاولة الثالثة**، فالواضح أن جوليان الذي أنفق أموالاً عظيمة في البناء، فقد عاد وشرع فيه مرة أخرى في صيف ٣٦٢م، ولكن ما لبثت أن ثارت عليهم بغتة رياح عاصفة من جهات العالم الأربع، ومع ذلك بدء بحفر أساسات المعبد، والتي كانت بمقدار نحو مائة ألف متر طولاً وعرضاً وعمقاً موجودة في مكان واحد، فتجدد اليهود أيضاً- رغم الرياح - وبنوه ، وكان جميع ما بينوه في النهار يهدم بالليل، فتعبوا أياماً كثيرة، ولم يستبين ما عمروه ولا مقدار قدم^(٦٧). وأخيراً- كما ذكر المؤلف المجهول^(٦٨) (المسيحي)- فإن اليهود الأنجاس بما أنهم أمة عاصية نظروا إلي أن الرب ليس له إرادة في اتمام بنائه، ولذلك كانوا يبنون بتألم منهم وإكراه. ويذكر المؤرخ المجهول وقتئذ "ظهر الصليب" .

ووفقاً لرواية من كتاب الكنيسة الأوائل، بدأ العمال في العمل حتى حلول الظلام، وعندئذ ظهرت علامات على الفور بعد اليوم الأول، حيث استيقظ العمال ليجدوا أن التربة التي أزالوها قد عادت إلى مكانها، وبغض النظر استأنفوا العمل، وفجأة هبت عاصفة عنيفة مرة أخرى، وانتشرت الزوابع في كل مكان بعيداً، ثم حدث زلزال في المكان تلاه كرات ناريه انفجرت من الأساسات غير المكتملة للمعبد^(٦٩)، وحرقت بعض الرجال وهرع البعض إلى الكنيسة التي شيدتها والده قنسطنطين (سانت هيلانا) فأغلقت الأبواب أمامهم من خلال قوى غير مرئية، كما تقول المصادر، ومن ثم توقفت الأعمال داخل المعبد القديم عن العمل، واندلعت

المجاعة في الموجودين، هذا بجانب ظهور الصليب في السماء ليلاً، وغنى عن القول لم يتم إعادة بناء المعبد هذا مؤكد، ولك مدى صحة هذه الأقاويل لقد رويت هذه القصة من خمسة مؤلفين من الكنيسة وجميعهم عاشوا خلال هذه الأحداث، وربما هذا ما يجعل هناك بعض الشكوك حول تفاصيل هذه القصة. وعلى الرغم من اختلاف سرد بعض التفاصيل إلا أن الخمسة اتفقوا على ثلاثة عناصر وهي (- الزلزال - النيران - الرياح) (٧٠).

وهناك بعض الكتاب الذين كتبوا عن هذه القصة مثل (سوزمين) (٧١) ما يلي: فيما يتعلق بالنار (هذه الحقيقة المذكورة بلا خوف) ولكن الاختلاف الوحيد هو سرد الواقعة، فهناك من يقول إن النار قد انفجرت من داخل المعبد، والبعض الآخر يؤكد أن الحريق انطلق من الأرض، وأياً ما كان فهي معجزة بكل المقاييس، وكان الخلاف الوحيد هو أن البعض قال إن اللهب قد اندلع من داخل الهيكل، عندما كان العمال يحاولون شق طريق لهم؛ بينما قال آخرون إن النار اندلعت مباشرة من الأرض. وفي كلتا الحالتين الظاهرة قد حدثت وهي جديرة بالإعجاب.

ويؤكد سوزمين (٧٢) "إننا لم نُصدّق أحدَ روايتي، فلينذهب ويستمع إليّ من سمعوا الحقائق التي أرويها من شهود عيان مازالوا أحياء ليقنعوا". والواضح رفض المسيحيين، فالرب اعترض علي تشييد هيكلهم، وشرعوا في استئناف الهيكل ضد إرادة الرب، فالتهمت النار العديد من الفعلة (العمال).

وهناك من يخالف كل هذه الروايات، ويرى أن المسيحيين ما كانوا ليوافقوا على عودة اليهود مرة أخرى، فأحرقوا المعبد لتحقيق نبوءة المسيح عيسى عليه السلام (٧٣). وهذا الرأي في نظر الباحث هو الأقرب للصواب.

ولكن جميع الموجودين ذكروا ذلك اليوم وصدقوه، فعندما كان اليهود يتخذون طريقهم بالكاد ويتصارعوا حول الدخول للمعبد، صدر لهيب لأعلى المكان المقدس (الكنيسة) وأوقفهم وأحرق البعض، والبعض الآخر أفنته تماماً، ولم يتركهم حتى

آمنوا تمامًا بأن قوة إلهية وراء هذا العمل^(٧٤). وسيظل التساؤل من أشعل النار في المعبد أثناء البناء، هل كان ذلك بسبب انفجارات أرضيه كانت عبارة عن براكين، أم أن المسيحيين هم الذين أشعلوا النار في البناء... الباحث من جانبه يميل إلي أن المسيحيين بحقدهم ربما كانت لهم يد طولي في إحراق البناء الذي بناه اليهود. وعن المحاولة الرابعة والأخيرة كانت في نهاية عام ٣٦٢م، حيث سعي جوليان فيها للقضاء على قرار الرب، فقد أصر أن يعاد بناء معبد اليهود، وعين لا تمام هذه المهمة نفس الشخص الذي أشرنا إليه من قبل وهو اليبوس الوثني الخصم العنيد للمسيح (عليه السلام) رئيسًا للعمال، وعندما بدأ الحفر، وبدأت تظهر تلك الأساسيات، ضربت ريح شديدة وأعاصير (للمرة الثانية) أبادت العديد من الأدوات، وعلى سبيل المثال تمت إبادة مائتي ألف مكيال من الجير، الذي تم إعداده للمساعدة في عملية البناء، وعندما أصر اليهود على مواصلة العمل انفجرت النار، مرة أخرى، وأهلكتهم حتي وضعت نهاية لجهودهم^(٧٥).

كما يستطرد المؤرخ الكنسي سوزومين^(٧٦) موضحاً، أنه عندما تجمع اليهود الذين أصروا بعناد وعناء على المضي قدماً في بناء معبدهم. والآلاف من اليهود هبت عليهم رياح شديدة فجأة، وعواصف وزوابع شتت جميع التجهيزات التي جمعوها لإعادة بناء المعبد في جميع الجهات عرضاً وطولاً^(٧٧).

وهذه الأحداث أكدها المؤرخ زوناراس^(٧٨) بقوله: " إن اليهود بالفعل بدأوا في أعمال الحفر لتشيد المعبد، وكانوا في طريقهم لحفر الأرض، وذلك لوضع الأساسات. ويقال بأن نار انفجرت فجأة لأعلى من الحفر، التي كانوا قد حضروها لوضع أساسات المعبد"^(٧٩).

والباحث من جانبه يستبعد حدوث مثل هذه الأقوال التي لا يقبلها سوى عقل رجل الدين " المتزمت" ودليل الباحث بأن مقولة انفجار نار من الحفر لا يمكن قبولها، إن المؤرخ زوناراس^(٨٠) نفسه لم يصدق ذلك، والدليل قوله عبارة " يقال " .

والحقيقة أن هدف جوليان من الإصرار علي إعادة المعبد (معبد سليمان) كان :-

أولاً: أن الإمبراطور يهدف إلى تكذيب نبوءة السيد المسيح (عليه السلام)، القائلة بأنه إذا حاول اليهود إعادة بناء معبدهم، فإن لن يبق فيه حجر على حجر. ثانياً: أن جوليان كان مشتاقاً قبل خوض معركته مع الفرس إلى تخليد ذكرى حكمه بالأعمال العظيمة ، ولذلك فقد خطط لإعادة بناء معبد سليمان في بيت المقدس لكسب تأييد اليهود^(٨١).

يقول المؤرخ سقراط^(٨٢)، أن في الليلة التالية مذق زلزال قوى أحجار الأساسات القديمة لهذا المعبد وشتتهم جميعاً معها. كما شتت الأبنية المجاورة معها، وقد تملك الرعب قلوب اليهود بسبب تلك الحادثة^(٨٣).

والواضح أن الرب سبب الزلزال ليقف هذا العمل (بناء المعبد)، وتم إعادة الصناعات الذين لممارسة عملهم مرة أخرى، ولكن لماذا؟؛ وذلك للأسباب الآتية:-
أولاً:- مرسوم الإمبراطور جوليان الذي ألزمهم بالعودة الي العمل.
ثانياً:- أنهم أنفسهم لهم مصلحة في إتمام البناء^(٨٤).

إلا أن العمل في المعبد قد استمر بضعة أيام فقط، تنسب العديد من التقارير، الوثنية والمسيحية، وقف العمل إلي النار، وربما إلي براكين ظهرت في المكان، كما ذكر جريجوري النازيانزي أن كرات اللهب المرعبة ظلت تتفجر بالقرب من أساسات الهيكل، مما أدي إلي حرق بعض العمال حتي الموت ووضع حد للمشروع، وهبوب شديد للرياح، ولهباً صادرا من المكان المقدس^(٨٥).

والخبر عن هذا البركان جلب أعداد كبيرة من الناس إلى المكان الذي أقيم على مسافة كبيرة، ولهذا عندما كانت جموع غفيرة من الناس مجتمعة وقعت آية أخرى *Prodigy*، حيث سقطت نار من السماء وأفنت جميع الأجسام والأدوات (المعدة لبناء المعبد) لدرجة أن السنة اللهب تمت رؤيتها تنقض على المطارق

الخشبية *Mallets* والحديد، حتى أصبح ممهّداً، والأحجار والمناشير *Saws* والقداديم *Hatchets* والمطارق *Odzes*، قصارى الكلام جميع الآلات المتنوعة، التي اعتمد عليها الصناع كضرورة لا نجاز هذا العمل، وقد استمرت النار مشتعلة في هذه الآلات والمعدات طوال اليوم^(٨٦). ويؤكد المؤرخ ثيودريت^(٨٧)، أنه غير متأكد من أن يكون اليهود قد جهزوا جميع المعاول *Matoils* والمجارف *Shovels* من سلاسل الفضة، حتى يبهروا الجميع بالتضحية بكل ما هو غالي ونفيس لإتمام بناء المعبد.

وعندما بدأ اليهود في أعمال الحفر وحمل التراب بعيداً، ومارس جمهور منهم العمل طوال اليوم، وقع زلزال وأهال التراب علي المكان الذي حفروه، ما كان قد تم نقله منه، وعلاوة على ذلك فإن الزلزال قد أباد ما كان قد تبقى من الأساسات القديمة للمعبد، إلى جانب ما كانوا قد أقاموه من بنيان جديد^(٨٨).

كما أرسل الرب على اليهود، الذين كانوا مكلفين بأعمال بناء معبد سليمان النار التي التهمت الكثير من تلك الجموع، والزلزال الذي هدم المكان تماماً، والعاصفة المرعبة التي هبت على المكان، حيث أعادت ردم ما تم حفره، وشتت تجهيزات البناء التي أعدها اليهود، والبرق والرعد الذي لم ينقطع طوال الليل، وكذلك الظلام الذي حل بالمكان، ويؤكدون علي غضب الرب وارانته الراضة^(٨٩). ولكن الباحث من جانبه يشك في أن العاصفة قد أعادت ردم ما تم حفره، بل ربما بنسبة ضئيلة من الحفر.

ولما كان اليهود ما يزالون غير عارفين بالقدرة الإلهية، انبثقت نار من الأساسات التي قد تم اظهارها، حيث أحرقت معظم الذين يقومون بأعمال الحفر *elegits*، وأجبرت الباقي منهم على الهروب. وعلاوة على ذلك عندما كان هناك عدد كبير من الرجال ينامون في الليل في إحدى الأبنية المجاورة سقط عليهم فجأة

السقف وجميع الحوائط، وقتل الباقي من هؤلاء اليهود الذين كانوا ينامون داخل الأبنية^(٩٠). ويبدو أن ذلك كان بسبب الزلزال.

ورغم انفجار نار من أساسات المعبد، وقتل عدد كبير من الصناع، فإن جميع الأحزاب أمروا الصناع بالعودة للعمل، وما أن عادوا لممارسة أعمال البناء في المعبد، حتى انفجرت نار فجأة من الأساسات الخاصة بالمعبد مرة أخرى. لأن الرب عارض تمامًا بناء المعبد، وأفنت عدد كبير من الصناع كذلك^(٩١).

علي كل، لقد آمن الوثنيين أن تدمير الهيكل يُعد غضبًا من الله (المسيح) عليهم، وأن الله قد تخلي عن اليهود منذ القرن الثاني فصاعدًا، وأكد المسيحيون بشكل خاص علي أن هذه الأحداث قد تم التنبؤ بها في العهد القديم، مما يثبت أنه جزء من خطة الله لليهود ولصلب المسيح (وفقًا لرؤية المسيحيين)، لقد كشفت عن أن يسوع يعد نبيًا حقيقيًا؛ لأنه تنبأ بالتحديد بتدمير الهيكل.

وفى الواقع، لقد كان اليهود في رعب عظيم، واعترفوا بإرادة أو بغير إرادة منهم بالسيد المسيح، وسموه إلههم، ومع ذلك فإنهم لم يفعلوا ذلك بإرادتهم، ولكنهم متأثرين بالخوف المتأصل، فإنهم ما زالوا يتعلقون باليهودية، حتى الأعجوبة الثالثة التي حدثت بعد ذلك فشلت في أن تقودهم للإيمان الصحيح^(٩٢). والباحث من جانبه لا يتفق مع المؤرخ الكنسي سقراط علي أن اليهود، بسبب المعجزات التي شاهدها، قد اعترفوا بالسيد المسيح؛ لأن طبيعة ذلك تتناقض مع الديانة اليهودية، وكل ما يكن أن يكون قد حدث هو أن بعض اليهود قد اعتنقوا الديانة المسيحية، وهذا وارد في كل زمان ومكان.

وفى تلك الليلة، التي سقطت فيها الأبنية المجاورة لمعبد سليمان على اليهود، تمت في الليلة التالية لها مشاهدة الصليب لإلهنا مضى بلمعان شديد في السماء^(٩٣).

رؤية الصليب في عهد جوليان:-

أما عن رواية ظهور ورؤية الصليب أثناء إعادة بناء المعبد، فقد ذكر المؤرخ الكنسى ثيودريت^(٩٤)، أن الصليب قد ظهر في سماء بيت المقدس على ليلتين متتاليتين أثناء وقوع إحدى المباني على اليهود وهم نائمون، وأشار إلى أن معظم ملابس اليهود، وليست كل الملابس قد انطبعت عليها الصلبان، كما أن الصلبان التي ظهرت على ملابس اليهود ليست مضيئة ولكن قاتمة. وهذا طبيعي إذا كان هناك بالفعل ظهور صلبان، فإن ظلها سيظهر أسود قاتمًا وليس مضيئًا.

وفي رواية سقراط^(٩٥): "في الليلة التالية ظهرت تأثيرات مضيئة للصليب مطبوعة على ملابسهم (أي ملابس اليهود)، والتي حاولوا في الفجر أو مع طلوع النهار عبثًا فركها أو غسلها، إنهم (اليهود) قد أصابهم (العمى) مثلما ذكر الرسول، وأنكروا الخير الذي هم امتكوه في أيديهم".

ولكن هل رواية الصليب المطبوع على ملابس اليهود رواية صحيحة؟ يجب على هذا التساؤل المؤرخ الكنسى سوزمين^(٩٦)، قائلاً: "إننا وجدنا (أو رأينا) أي إنسان أنه ليست لديه ميول لقبول أو تصديق روايتي، دعه يذهب لكي يتم إقناعه بواسطة أولئك الذين سمعوا الحقيقة، لقد رويت هذه الأحداث من شهود العيان أنفسهم، لأنهم كانوا ما يزالون أحياء"، دعمهم يسألون أيضاً اليهود والوثنيين الذين غادروا العمل. أو الذين يمكن أن يتحدثوا بدقة أكثر كانوا قادرين على البدء في هذا العمل (إعادة) بناء معبد سليمان^(٩٧). إن سوزمين نفسه لم يكن شاهداً للنار، ولكنه قد سمعها من شهود عيان كثر، كما قال، ولكن هل هؤلاء الشهود، يتحلون بالدقة والصدق؟؛ هذا هو السؤال.

كما يواصل سوزمين^(٩٨)، ذاكراً فجأة ظهرت علامة الصليب مطبوعاً على ملابس الأشخاص الذين كانوا يواصلون العمل على إعادة بناء المعبد، وأن هذه الصلبان كانت مطبوعة على ملابسهم، وكانت تشبه النجوم في لمعانها، وظهرت

كعمل فني، أو كما لو كانت آية من آيات الفن. وهذه المعجزة الملموسة جعلت الكثيرين يعترفوا أن المسيح هو الله، وأن إعادة بناء الهيكل لا يرضيه. وتقدم آخرون إلي الكنيسة ونالوا المعمودية والتمسوا من المسيح المغفرة لخطاياهم. والسؤال الآن، ماهي النتائج التي ترتبت على طبع الصليب على ملابس اليهود:-

بسبب تلك الصلبان المطبوعة على ملابس اليهود يذكر سوزمين. **أولاً:** الاعتراف بأن السيد المسيح إله ولا بد أن يؤمن به الجميع. **ثانياً:** أن إعادة بناء المعبد لم تعد تأتي على هوى اليهود. **ثالثاً:** أن البعض من اليهود ذهبوا بأنفسهم إلى الكنيسة، حيث تدربوا وشكروا المسيح (عليه السلام) بالتراتيل *Hymns* والتضرع ليغفر لهم خطيئتهم، ولكن هل هذه الرواية صحيحة^(٩٩)؟! ولما لا، وهل تتصير بعض اليهود صعباً. أما المؤرخ ثيودورت^(١٠٠)، فيقول في روايته عن ظهور الصليب، في غضون ذلك، تمت مشاهدة الصليب المقدس مضيئاً في السماء من الجلجلة *Golgotha* وحتى جبل الزيتون المقدس، يحاط بإكليل *Wreath* من الضوء لدرجة أنه كان مضيئاً أكثر منه في عهد الإمبراطور قسطنطينوس، عند وقوع تلك العلامة ظهر الصليب على الملابس في المذبح، والكتب، وأثواب الكهنة، وبالمثل على الملابس ليس المسيحيين فقط، ولكن أيضاً على ملابس اليهود الوثنية، الذين لم يصدقوا ذلك بعدم فطنه، وحددوا ملابسهم وقد تغطت بالصلبان ليس فقط في أنطاكية ولكن في مدن أخرى، أولئك الوثنيون الذين لم يؤمنوا بالمسيح والمسيحية، وجدوا ملابسهم قد تغطت تماماً بالصلبان، والبعض كان أسود واضحاً للعيان. إن رواية ثيودورت^(١٠١) تنفي ظهور الصليب في جميع مدن بلاد الشام وفلسطين.

ويذكر جريجورى النازيانزى^(١٠٢)، أن الصليب قد ظهر في السماء أثناء إعادة بناء المعبد، ولكن ما يكون غريب، أيضاً، ليست الرياح أو النار التي ظهرت للعيان

بصورة جيدة، ولكن انتصاب الصليب في السماء عشية إعادة المعبد اليهودي. والسؤال هل استغراب جريجوري كان يعني الدهشة من حدوثها ... أم أنها لم تحدث؟!.... الباحث من جانبه لا يستطيع الحكم علي ذلك.

ولكن ما يكون أيضا غريب وظاهر للعيان أكثر، ظهور الصليب في السماء مضيئا مكتوب حوله *Circumscrebiuy* (الصليب المقدس)، ذلك الذي كان من قبل على الأرض محتقر، وبأنه ليس إلهيا كلاهما صورته واسمه يكون الآن معروضا في السماء بتذكر إلهي بنصره على الكفر، ونصره في غضون ذلك، أكثر من أي وقت مضى^(١٠٣)، أكان الصليب آنذاك فقط أرضى أو سماوى، (أي على الأرض أو في السماء) كيف؟! وخلافاً لذلك لم يعط هيئته في تلك المناسبة، وكان مكرسا بشارات مقدسة^(١٠٤).

إن أولئك الذين كانوا قد شاهدوا وشاركوا لظهور تلك العلامات على ملابسهم، التي في غضون ذلك، مختومة بعلامات الصليب؛ إما من إخواننا المؤمنين أو غير المؤمنين، كان عليهم أن يحكموا علي تلك الحادثة (حادثة وجود الصليب على الملابس) والتي سمعوها تحكى بواسطة آخرين، الذين شاهدوا حدوث الأعجوبة في أكوخهم أو أكوخ المجاورين لهم، الذين كانوا جميعا ملطخين بالنجوم، وهكذا إن علامة ظهور الصليب علي ملابس اليهود، وهو ملون ظهر كما لو كان قد تم طلاؤه بأي طلاء صناعي، بصورة محكمة^(١٠٥).

ويذكر جريجورى النازيانزي^(١٠٦)، أن نتيجة مشاهدة الصليب على الملابس، مثل هذا رعبا كبيرا لليهود بسبب المشهد الذي تقريبا شاهده الجميع، لذلك فإنهم في إشارة واحدة وفي صوت واحد توسلوا إلى رب المسيحيين، واستعطفوا بكثير من المديح والتوسلات، لذلك فإن الكثيرين، وبدون تأخير، وفي نفس اللحظة التي ظهر فيها الصليب على الملابس، هرول إلى كهنتنا، وناشدوهم بحرارة بأنهم سوف يكونون أعضاء في الكنيسة، وتم تطهيرهم وتعميدهم .

والحقيقة أن ظهور الصليب في عهد جوليان كان له أثر كبير؛ لأن الكثيرين ممن شاهدوا علامة الصليب على ملابسهم، قد اعتنقوا الدين المسيحي، ولذلك تم إنقاذهم من الرعب الذي انتابهم^(١٠٧).

والغريب أن حادثة ظهور ورؤية الصليب المقدس في السماء أثناء عملية إعادة بناء معبد سليمان في عهد جوليان لم ترد في كتابات المؤرخ ثيوفانس، ويرى الباحث: أن هذا المؤرخ ليس من رجال الدين، ولكنه علماني. ولذلك لم يضع المعلومات التاريخية في قالب ديني، وهذا هو الفرق بين المؤرخ ذو الخلفية الدينية والمؤرخ ذو الخلفية العلمانية .

وعندما سمع الإمبراطور جوليان بتلك الحوادث التي حلت باليهود، ورغم أنها تكررت أكثر من مرة، فإنه مثل فرعون *Pharaen* تجر قلبه *Hardened*^(١٠٨) . ويروي الباحث، أن ثيودريت سعي في مؤرخه الكنسى لا ثبات صحة حدوث بعض الحوادث ضد اليهود أثناء محاولتهم إعادة معبدهم.

وجدير بالذكر أن ظهور الصليب في سماء بيت المقدس عشية بناء اليهود معبدهم، تردت على السنة الكثيرين من المؤرخين، وهذا ما أوضحه المؤرخ الكنسى ثيودريت بقوله: " معناه في نظر ثيودريت أنها صحيحة "^(١٠٩).

وفى النهاية، وبسبب ما تعرض له اليهود من آيات إلهية كما يقال أثناء محاولتهم إعادة بناء معبدهم، فقد تخلوا نهائيًا عن عملية التشييد^(١١٠).

وعلي كل حال، لم يعد جوليان من حملاته الفارسية، لقد توفي في المعركة يوم ٢٦ يونية ٣٦٣م، سواء كان الرمح الذي إصابة قد تم القاؤه من قبل الفرس، أو أحد جنوده المسيحيين، فقد حكم الإمبراطور لمدة تسعة عشر شهرًا فقط، ظلت جديده بين المسيحيين علي مدي قرن هي مقياس لأهميته، أنه يشير إلي مدي قلقهم بشأن قرار إعادة بناء المعبد المقدس^(١١١).

الخاتمة: ومن أهم النتائج التي توصل لها الباحث .

أولاً: إن كتابات المؤرخين ذوات الخلفية الدينية اختلفت تماماً عن كتابات المؤرخين، ذوات الخلفية العلمانية، كما تثبت مدي كرههم لجوليان.

ثانياً: لقد كان جوليان بسعيه لإعادة بناء المعبد، يحاول إشراك اليهود معه في حربه ضد المسيحية والمسيحيين .

ثالثاً: إن سياسة الإمبراطور الدينية كانت اللعب علي وتر الخلاف بين المسيحيين واليهود .

رابعاً: إن قضية ظهور المعجزات أثناء بناء المعبد لا تعدوا أن تكون ظواهر طبيعية، صادف وأظهرت أثناء إعادة بناء المعبد . إن الله سبحانه هو مسير الرياح، والبرق، والزلازل، وغير ذلك من الظواهر الطبيعية، وليست من صنع البشر، كما ذكر المؤرخون الكنسيون .

خامساً: إن ترخيص جوليان لليهود بإعادة بناء معبدهم، لا تعني أنه يكن لهم احتراماً، أو اعترافاً باليهودية .

سادساً: لقد كان الإمبراطور يعلم تماماً أن كل جهوده لسيادة الوثنية كانت بلا فاعلية، ووجد أن المسيحية تتفوق في الشهرة، وأنه بزوال تأثيره سرعان ما ستتغير الأمور .

سابعاً: بسبب الصلبان المطبوعة على ملابس اليهود، لم تعد فكرة إعادة بناء المعبد تأتي علي هواهم، وذهب البعض منهم إلي الكنيسة وشكروا المسيح.

ثامناً: لقد خرجت الجماعة المسيحية مُنتصرة من محاولة إعادة بناء المعبد؛ لأن فشلها كان يعني انتصاراً للمسيحية وهزيمة للإمبراطور جوليان والوثنية.

تاسعاً: إن النزاع الديني في أي مكان وزمان يمكن أن يؤدي إلي تمزق الدولة، مثلما حدث بين المسيحيين والوثنيين .

عاشراً: لقد فشلت مساعي جوليان لإعادة بناء المعبد، وضاعت أدرج الرياح جهوده.

الهوامش:

(١) جوليان هو فلافيوس كلاوديوس جوليانوس Flavius Claudius Julianus هو ابن أخ الإمبراطور قنسطنتين الأول، وعم الإمبراطور قنسطنتيوس، ولد في القصر الإمبراطوري في القسطنطينية عام ٣٣٢م، وقتل أبوه وأخوه الأكبر ومعظم أبناء عمه في المذبحة التي حدثت في عهد قنسطنتين ولم يكن شاهدا عليها، حيث أرسل إلى نقوميديا ليتلقى العلم على يد الاسقف يوسبيوس. انظر:

-Zosimus , New History Tr. From the Original Greek by, W. Green & T. Chapline , Book 1 , London, 1814, pp.173 – 174; CF, also , Walter E., Robert & other., Julian the Apostate, 360 – 363 A., (Net , 2004) p . 40.

(٢) سبب ارتداد جوليان ما رآه في الجدل الذي أثاره المسيحيين حول الثالوث وطبيعة المسيح، وما رآه من تكالب رجال الدين المسيحيين على المناصب. أما الجاحد فإنه جحد الايمان بالمسيح كلياً، وأنه طهر نفسه من المعمودية بالذبائح والأضاحي ودماء الحيوانات التي يسميها الوثنيون الجحد . انظر:

- Hans -Ulrich Wiemer, Kasiertum bei libanios, Book Libanios, 2011 ,p.128.

(٣) ليبانوس فيلسوف أنطاكي وثنى رأى أن الآلهة الوثنية كانت وراء صنع مجد روما، وقد تأثر جوليان بأفكاره، وقد اتهم المسيحيين صراحة بأنهم كانوا وراء قتل الإمبراطور. انظر :

رأفت عبد الحميد، مصرع جوليان الفيلسوف والإمبراطور ضمن كتاب قطوف دانية، مهداه إلى ناصر الدين الأسد، تحرير عبد القادر الرباعي، عمان، ١٩٩٧، ص ٤٨١ – ٥٣٣، ج ١، ص ٥٢٩.

-Hans - Ulrich op. cit. , pp . 128 – 129 ; David F. Buckm, Socrates Scholasticus on Julian the Apostate, Byz. Vol. 73, 2003, p. 302. Aryay Bennett F., Julian among Jews , Christians and Hellenes, Cambridge, 2011, pp. 8 – 9 ; James

Doherty M., the unity of thought and Action in the life of Julian,361-363,Univ. (٤) Glasgow,1999, pp.9-10.

Aryay Bennett F. , op. cit., pp. 12 – 13 ; James Doherty M., op. cit. , p . 88. (٥) Baynes"The Death of Julian the Apostate in a Christian Legend" in Byz.Studies and other Essy, Connecticut, 1974 , pp.271- 272. (٦)

(٧) نورمان ف . كانتور: التاريخ الوسيط ، القسم الأول، ترجم قاسم عبده قاسم، دار المعارف، ١٩٨٣، ص ٨٥

-Negev A., the Inscription of the Emperor Julian at ma'ay .Brukh, Israel, journal , vol, 19. No. 3. , 1979, pp . 171 – 172 .

Gre. Naz , Ju . , p. 1 . (٨)

(٩) أبوللو: كرس سكان سوريا المقدونيون للإله أبوللو مكانا للعبادة يعتبر من أفخم أماكن العبادة في العالم الوثني، وشيدوا هناك معبدا رائعا لإله النور، وأقاموا له في المعبد تمثالا ضخما يكاد يملأ المحراب الفسيح، زينوه بالذهب واللآلئ، وتمثل الإله في وضع منحني وهو يمسك بيده قدحا مذهبا يسكب منه علي الأرض خمرا. كما لو كان يتضرع الي الأم الوقور أن تعيده إلي ذراعيه محبوبته الجميلة دافني. انظر في ذلك :

Theophenes Confessor., the Chronicle, Tr. by Cyril Mango & Green Roger
Scott, London, 1977, p.79.

(١٠) دافني : هي قرية جميلة أهلة بالسكان تضارع في فخامتها أعظم المدن لتدفق الحجاج المشاهدين علي المكان بصورة مستديمة. وكان المعبد والقرية قائمين في حوض غابة كثيفة من أشجار الغار والسرو يمتد محيطها عشرة أميال ويجد الناس في أيام الصيف ظلا ظليلا رطبا لا تنفيذ اليه أشعة الشمس. وتناثرت في تلك البقعة الهادئة الأصوات الجميلة المتناسقة التي يفوح منها العبير العطري. وكانت الحديقة مزارا مقدسا لأبوللو، قد حولت إلي مكان للهو والتسلية، فأصدر جوليان أمره أن يمنع اللهو منها وأن تعود مزارا مقدسا كما كانت من قبل، وما كاد هذا العمل يتم حتي التهمت النيران. انظر في ذلك :

Theo.Con.,op.cit.,p.79 ; Cf.also, Henry F.M.,The Cecond Consultation of "Docteur Noir" Alfred de Vignys,"Daphne"and The Power of Symbols, Studies in Romanticism,Vol.20, N0,4,Boston,1981,pp,461-474.

Theod, op. cit. , p. 154. (١١)

(١٢) جيبون : المرجع السابق، ج ٢ ، ص ٣٦.

Ammianus Marcellinus, Tr, by John C. Rolfe, , (London, 1936).Tom II , p. (١٣)
269 ; John E.Rexine, The Emperor Julian ,Jou.The Ame,Vol.45,No.2,(Jun-1977),p.237.

(١٤) أنطاكية مدينة تقع علي الضفة الشمالية لنهر أورنتس Orontes علي مسافة ٢٠ ميلا من البحر المتوسط. انظر :

Bunson M., A Dictinary of Roman Empire (Oxford Univ. Press, 1995), p.16

(١٥) بابيلاس كان رئيسًا لكنيسة أنطاكية، نال الشهادة، وتم تكريمه من قبل الإمبراطور قنستنتيوس، وعندما أراد جوليان تطهير المكان في أنطاكية من الخرافات المسيحية لغيرته علي الوثنية، صمم علي أقامه بيت للصلاة في المعبد ونقل مقبرة الشهيد بها وسرعان ما سقطت فجأة بعد نقل رفاته نار من السماء علي معبد أبوللو بدافني إلي مكان آخر واحترق السقف وتمثال الإله ذاته، وتركت الجدران عارية من الأعمدة التي عليها الرواق. انظر في ذلك:

- Aryay Bennett F. , op. cit., pp. 9– 10 ; James Doherty M., op. cit. , pp. 57
New History, p. 76 ; David woods , Julian and the solar Bull, American Journal (١٦)
, vol. 12 . 2000, p. 160 .
- Amm. Marc., p. 251 ; Jonas R., A Newly Discovered Portrait of the (١٧)
Emperor Julian, American Journal, vol. 50, No. 2(Apr.– 1946),
p.278.
- Philo. Chu. Hist. , pp. 102 –103 . (١٨)
- Wright W.C.,The Works of the Emp. Julian,London,vol.3,1926, (١٩)
pp.117–
- Vasiliev, History of Byzantine Empire, Madison, 1952, pp . 72 – 73;Glanvill (٢٠)
defense of Hellenism Furth Century ,The Harvard Downy, Themistius and The
Review,Vol.50,No.4,1957, p.266 .
- رأفت عبد الحميد، الفكر المصرى في العصر المسيحي، ط، القاهرة ، ٢٠٠٠م، ص ٨٨، محمد
مؤنس، الإمبراطورية البيزنطية، دراسة في تاريخ الأسر الحاكمة، ط ، ٢٠٠٧ ، ص ١٤٥ – ١٤٦ .
- Wright W.C.,The Works of the Emp. Julian , London,vol.3,1926,pp117– (٢٢)
118
- (٢٣) انجيل لوقا: ٢١-٦ ؛ انجيل متي : ٢٤-٢ .
- Philo. Chu. Hist. , pp.. 104 – 105-9 (٢٤)
- The Eccl.Hist., op. cit. p154 (٢٥)
- جيبون : المرجع السابق، ج ٢ ، ص ٣٥ . (٢٦)
- Theod, op. cit., p. 154. (٢٧)
- Theod, op.cit., p. 154. (٢٨)
- Gre. Noz.,Ju.Emp., p. 1. (٢٩)
- Soc. Sch. Eccl. Hist., p . 170. (٣٠)
- Soz., op cit. , p . 563. (٣١)
- Philo.Chu.,p..104. (٣٢)
- Soz. , Eccl . His. , p. 563. (٣٣)
- Soc. Sch. Eccl. Hist. , p 170 . (٣٤)
- Soz. ,op. cit., p . 563. (٣٥)
- (٣٦) جيبون: المرجع السابق ، ج ٢، ص ٢٩ .

- Eccl. Hist. , p . 169. (٣٧)
- Julian contra the Galilaeans, Works, vol. 3, pp. 405-406. (٣٨)
- Eccl. Hist. , p 563. (٣٩)
- Soz .Eccl.His , p 563. (٤٠)
- Soc. Sch. Ecc. Hist. , p . 169 (٤١)
- Theo. Con., op. cit . , p. 79. (٤٢)
- (Hist.Zo., , p. 175 . ٤٣)
- Theo. Con . op. cit., pp. 79 – 80 . (٤٤)
- Jones, op. cit. , pp. 59– 60 ; Downy, op. cit., p. 53. (٤٥)
- Theo. Con. P. 80. (٤٦)
- Eccl. Hist., p. 563 (٤٧)
- (٤٨) الزلازل Exthquakes عبارة عن هزات سريعة ومتلاحقة وقصيرة المدى، تصيب القشرة الأرضية خلال فترات متقطعة للاضطرابات الباطنية ، وتحدث كنتيجة لحركات القشرة الأرضية، ويعقبها احتكاك الأجسام الصخرية، التي يتكون منها الغلاف الخارجي. وتبدأ الموجات الزلزالية في العادة في صورة هزات خفيفة أو أولية تتزايد متي تصل إلي سطح الأرض الخارجي . انظر:
- . Skinner , Physical Geology, N.Y, 1974, p. 229.
- Eccl. Hist., p. 563 (٤٩)
- Philo. Chu . Hist., pp . 103 (٥٠)
- Theo. Con., Chu, p. 79. (٥١)
- Zon. Hist. Zon , p. 174. (٥٢)
- (٥٣) اليبوس: كان وزيراً لجوليان يفضي إلي هذا الوزير دون تحفظ بأشد حماقاته طيشاً وبأخطر آرائه، فكلفه بمهمة عجيبة غير عادية، وهي أن يعيد بناء معبد أورشليم، واجتمعوا من كل ولايات الإمبراطورية فوق جبل أجداهم المقدس، وأزعج انتصارهم الفاجر سكان أورشليم المسيحيين، وأثار سخطهم وغضبهم. انظر:
- جيبون: المرجع السابق، ص ٣٨.
- Philo.Chu.Hist., p. 104-105.
- Amm. Marc., Tom II, p. 311. (٥٤)
- Zon.Hist.Zon., p. 174. (٥٥)
- Phelo. Chu. Hist., pp. 104 – 105. (٥٦)
- (٥٧) وسيطر على المسيحية نوع من الرعب والفرع خشية الاضطهاد، ووصف سوزمين حال المسيحية بقوله: لقد قاس المسيحيون من عذاب التوقع وهو اجس الانتظار لهذه الضائقة أكثر من معانتهم بالفعل، وقد مضى

زمن القوا فيه الدعة والأمان طول هوان ، وطاف بخيالهم ويلات العذاب التي لاقاها الآباء والأجداد من قبل
 زمن الاضطهاد. وكان يسعي لتوسيع دائرة الوثنية في الأقطار الشرقية التي تزايد فيها أعداد المسيحيين .
 انظر :

- Soz. Eccl.Hist., op. cit. , p.562 ; Gre. Naz. ,p., 3. -
- Soz. Eccl . Hist. , p .562. (٥٨)
- (٥٩) مايكل آفي : اليهود تحت الحكم الروماني والبيزنطي, القدس, ١٩٨٤, ص ١٩٠
- Soz. Eccl . Hist. ,p .563. (٦٠)
- Theod., the Eccl. Hist. , p. 154. (٦١)
- Theod, the Eccl. Hist. , p. 154. (٦٢)
- Soz. Eccl . Hist. , p .563. (٦٣)
- Theod.. Eccl . Hist, p154 (٦٤)
- Soc.Sch.:Eccl. Hist.,p.169. (٦٥)
- Theod. The Eccl. Hist .,op.,p.154. (٦٦)
- Soz.Eccl.Hist.,p.563 (٦٧)
- (٦٨) تاريخ ملوك القسطنطينية : المرجع السابق, ص ٧٣-٧٤.
- Theod. The Eccl. Hist.,p.154 . (٦٩)
- Theod. Eccl. Hist,p.154. (٧٠)
- Eccl. Hist., p.562 . (٧١)
- Eccl. Hist., p.562 . (٧٢)
- (Theo.Con,op.cit.,.80 (٧٣)
- Gre.Naz. , Ju. Emp. P.2 . (٧٤)
- Theo. Con. , P. 81. (٧٥)
- Eccl. Hist ,p.563. (٧٦)
- Theod . Eccl. Hist. , p. 154. (٧٧)
- Hist. , Zon, p. 174. (٧٨)
- Zon, Hist. , Zon, p. 174. (٧٩)
- Zon, Hist. , Zon, p. 174. (٨٠)
- Amm. Marc., Tom II . p. 311. (٨١)
- Eccl. Hist., p170. (٨٢)
- Soc. Eccl. Hist., p. 170. (٨٣)

Soz. Eccl. Hist., p. 563.	(٨٤)
Gre.Naz.Ju.Emp.,p.2	(٨٥)
Theod. Eccl. P . 154.	(٨٦)
The. Eccl.Hist . p 154.	(٨٧)
Philo:chu.Hist.,pp.102-103.	(٨٨)
Philo . Chu. Hist. , pp . 104 – 105 – 9.	(٨٩)
Theod. Eccl. L. p. 154.	(٩٠)
Soz. Eccl. Hist., p. 563	(٩١)
Soc. Sch. Eccl. Hist. , p. 170.	(٩٢)
Theod. Eccl., P. 154.	(٩٣)
The Eccl. Hist.,P.154	(٩٤)
Soc. Sch. Eccl. Hist , p170 .	(٩٥)
Eccl. Hist. , p. 564.	(٩٦)
Amm.Marc., TomII,p.311.	(٩٧)
Eccl. Hist. , p. 564.	(٩٨)
Soz. Eccl. Hist. , p. 564.	(٩٩)
Theo. Con. P. 82.	(١٠٠)
The.Eccl.Hist,p154	(١٠١)
Ju. The Emp . p. 2.	(١٠٢)
Ibid . p. 2.	(١٠٣)
The Eccl. Hist ,. p.155.	(١٠٤)
Soc. Sch. Eccl. Hist. p.170 .	(١٠٥)
Ju the Emp., p. 2.	(١٠٦)
Soz. Eccl. Hist., p.564.	(١٠٧)
Theod.the Eccl.Hist,p.155.	(١٠٨)
Theod. The Eccl.Hist.,p.155.	(١٠٩)
Zon . Hist. , p. 174	(١١٠)
Jones Christopher, Themistius After The Death of Julian, Historia, vol59 No.4,2010, p501 – 502	(١١١)

